تحليل المبنى التفسيري لقدسية القرآن من وجهة نظر وهبة الزحيلي في (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)

طالب الدكتوراه سجاد الإسكندري

قسم القرآن والحديث ـ جامعة مازندران ـ إيران

eskandari313@gmail.com

الدكتور محمد الشريفي (الكاتب المسول)

أستاذ مشارك ـ كليه الإلهيات والدراسات الإسلامية ـ جامعة مازندران ـ إيران

m.sharifi@umz.ac.ir

الدكتور حبيب الله الحليمي جلودار

أستاذ مشارك ـ كليه الإلهيات والدراسات الإسلامية ـ جامعة مازندران ـ إيران

jloudar@umz.ac.ir

Holiness of the Qur'an from the viewpoint of Wahbah Zuhayli in “Tafsir al- Muneer fi al-Aqeedah va al-Shariah va al-Monhaj”: An Analysis of the Interpretive Basis

Sajad Eskandari

Ph.D. candidate, University of Mazandaran, department of Quran & Hadith Sciences , Iran

Dr. Mohammad Sharifi (corresponding author)

Associate professor, University of Mazandaran , Iran

Dr. Habibullah Halimi Jloudar

Associate professor , University of Mazandaran , Iran

الملخص:-

يُعرّف المبنى التفسيري بأنّه البنية التحتية الفكرية التي يختارها كلّ مفسّر لفهم الكلام الإلهي ويختار منهجه التفسيري على أساس ذلك المبنى التفسيري. بعبارة أخرى، فإن المعرفة السّبقية لأيّ مفسّر في تفسير القرآن هو ما يعتبره المفسر ويقبله ثمّ على ذلك المبنى يختار منهجه التفسيري. إنّ أحد المباني التفسيرية اعتبار قدسية القرآن وإلوهيته أي إنّ ألفاظ القرآن كلّها أنزلها الله تعالى ولم يتدخل فيها النبي ﷺ أي من يقوم بتبليغ الوحي. قد قام هذا البحث على ضوء المنهج الوصفي - التحليلي بدراسة بعض آراء وهبة الزحيلي في "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" وبعد معالجة سبعة أدلّة في القسمين خلص إلى أنّ الزّحيلي قد قبل المبنى التفسيري لقدسية القرآن وإلوهيته وهو يؤمن بهذا المبنى التفسيري.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، المباني التفسيرية، قدسية القرآن، وهبة الزحيلي، التفسير المنير.

Abstract:-

Interpretive basis, selected by any interpreter to understand the divine words, refers to the intellectual infrastructure for interpretation based on which, the interpreter chooses his interpretive method. In other words, the presupposition of every interpreter to interpret the holy Qur'an is what he considers and accepts; then, based on it, he selects the method of interpretation. One of the interpretive bases is to deem the Qur'an as holy or divine; i.e. the words of the holy Qur'an have all been revealed by God Almighty, and the person of the Prophet (as) has not mandated any seizure or manipulation in it. Accordingly, this research has been conducted by descriptive-analytical method and by examining some of Wahbah Zuhayli's views in Tafsir al-Muneer Fi Al-Aqeedah, Shari'a and al-Monhaj, which presents seven reasons in two parts and concludes that the interpretive basis of the holy/divine nature of the Qur'an has been accepted by Zuhayli and he has believed in it.

Key words: interpretation of holy Quran, interpretative bases, holiness of Quran, Wahbah al-Zuhayli, Tafsir al-Muneer.

مقدمة:ـ

تشتمل مباني التفسير القرآني على تلك المعارف السبقية والأصول الموضوعية والمعتقدات العقائدية والعلمية التي يقوم المفسّر مع قبولها والإسناد عليها بتفسير القرآن. (شاكر، ١٣٨٢، ص٤٠) ويؤدي قبولها الإيجابي أو السلبي إلى منهج معين في التفسير. إنّ المباني في التّفسير لا تزال تطرح كمعرفة سبقية والمطالب المقبول عليها لكلّ تفسير وتختلف هذه المباني باختلاف المفسرين ولهذا السبب سببوا اختلافات في التفسير؛ لأنه ليس هناك مبادئ ثابتة لجميع المفسرين والمفسرون، قبل أن قاموا بالتفسير، قبلوها أحيانًا في لاوعيهم، أو في بعض الحالات، بعد التحليل، قاموا بتعليلها والتحقق منها. (مؤدب، ١٣٨٦، ص٢٤)

لقد حدد بعض الدارسين مباني التفسير بأنّها المؤسسات الرئيسية التي ينبني عليها فهم القرآن وتفسيره ويتمّ طرحها كمعرفة سبقية في التّفسير. إنّ مفسر القرآن لا يعدّلها خلال التفسير، بل قد قبلها قبل الدخول في التفسير؛ لأنه تم تعديلها في مكانها وأصبحت قبولًا عقليًا وهو يهتم بها بطريقة عفوية. قد يغفل المفسّر خلال التفسير عن هذه المبادئ بينما ينبني تفسير القرآن في كثير من الأحيان على هذه المباني وقد يصعب تفسير القرآن دونها. (رضايي اصفهاني، ١٣٩٢، ص ١٠٩) يعتقد بعض المفسرين الآخرين أنّ أيّ منهج يصبح مألوفاً في تفسير الآيات فهو مبني على الرأي الذي قد اتخذه المفسر في كيفية تفسير القرآن.تعتمد صحّة أي منهج تفسيري وسقمه وقوّته وضعفه على صحّة النظرية وسقمها التي تكون مبني ذلك المنهج التفسيري. (بابايي، ١٣٨١، ص١٥)

اعتبر بعض الباحثين الأقدمين المبنى والمنهج بنفس المعني وهم لا يعتقدون مثل ما يعتقد الباحثون الجدد بأنّ المنهج التفسيري مبني على قضية تسمّي المبنى التفسيري ويعتقد أن ما يمكن دراسته في اختلاف الأساليب التفسيرية هي المبادئ والمناهج التي تتدخل بشكل أساسي في كيفية اكتشاف المعاني ومقاصد آيات القرآن وتعتبر أساس التفسير والبنية التحتية لاستخراج المفاهيم القرآنية. (عميد زنجاني، ١٣٦٧، صص١٧٧-١٧٦) يعتقد هؤلاء الباحثون أنّ المبنى والمنهج التفسيري هما بمثابة الوثيقة أو الوثائق التي يخصص المفسر على أساس ذلك، الكلام الذي نسجه من خياله كتفسير كلام الله ومعني الآيات الإلهية ويعتبر تلك الوثيقة أو الوثائق الطريق الوحيد للحصول على مقاصد القرآن ولا يقبل غيرها من

المناهج والأساليب ولا يعتبرها كافية لتحقيق جميع مفاهيم القرآن ومقاصدها. (عميد زنجاني، ١٣٦٧، ص١٨٧).

إن خلاصة ما نقله علماء القرآن عن تعريف مباني تفسير القرآن يمكن أن تكون كالتالي: من أجل الوصول إلى القصد الإلهي من ظهور كلمات القرآن وفهم عمق معانيها، يجب على كل مفسّر أن يأخذ مجموعة من المبادئ والقواعد بعين الاعتبار كأساس لتحليل الكلام الإلهي حيث إن طريقته في فهم معاني الكلام الإلهي بدون هذه المبادئ والقواعد، فلا أساس لها من الصحة ولن يكون تحليل ذلك المفسر تحليلاً علميًا ودقيقًا ومنهجيًا؛ لذلك، سواء يقبل المفسّر تلك المبادئ والقواعد في لاوعيه أو يوضّحها ويبيّنها، فإنه بلا شك سيخطو خطوة نحو تفسير الكلام الإلهي، والتي بدونها لا يستطيع أن يحلل الكلام الإلهي ويفسّره. بمعنى آخر، المبنى التفسيري هو بنية تحتية فكرية وعلمية للمفسّر، ولا يمكن عملية التفسير بدونها.

مشكلة البحث:

نسعى في هذا البحث إلى دراسة أحد المبادئ التفسيرية وهو ما يسمى بـ "قدسية القرآن" أو "ألوهيته". أمّا السؤال الرئيسي في هذا البحث فهو من وجهة نظر وهبة الزحيلي، مؤلّف كتاب ((التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)) هل هذا القرآن الذي بين أيدينا والذي يعرف معجزة خاتم الأنبياء سيّدنا محمد المصطفى ﷺ، كلام الله الذي أنزله جبريل على النبي محمد ﷺ؟ هل هذه الكلمات هي كلام النبي ﷺ نفسه؟ أم كلام السيد جبريل؟

بما أنّ تفسير المنير يعدّ تفسيراً معاصراً فلم يتم فيه عمل تحليلي مفصل. في البحوث التي تمّ التطرّق إليها، قام الباحثون بدراسة موجزة لمنهج المؤلف في كيفية تعبيره عن المحتويات وكيفية ترتيب عناوين الموضوعات التي جاء بها المفسّر في كتابه ولم يكن لديهم منهج تحليلي، خاصة فيما يتعلق بآراء وهبة الزحيلي التفسيرية.

قد قامت ((آمنة رضايي)) في مقال تحت عنوان ((منهجية تفسير المنير)) بدراسة هذا التفسير المشتمل على ١٦ مجلّداً. ما جاء في هذا المقال هو كيفية بيان المحتويات في تفسير المنير. فيما يتعلق بأسلوب المحتويات التفسيرية، اكتفت كاتبة هذا المقال بأن تقول: إن وهبة الزحيلي قد أدرج هذه المواد وهذه العناوين في تفسيره: ((الإعراب)) - ((البلاغة)) -

((المفردات اللغوية)) ـ ((المناسبة)) ـ ((التفسير و البيان)) و ((فقه الحياة أو الأحكام)) وما ذكره الزحيلي باختصار تحت كل عنوان من العناوين السابقة. رفضت كاتبة المقال من أن تدرس دراسة تحليلية لـ "تفسير المنير" ولم تتطرق إليه.

((محمد علي رضائي كرماني)) في مقاله بعنوان ((تفسير المنير من منظار النقد والدراسة" بالإضافة إلى ما فعلته "أمينة رضائي" في وصف موجز لكيفية تعبير الزحيلي عن المباحث، قد قام بدراسة بعض نواقص تفسير المنير ونقاطه البارزة دراسة موجزة وامتنع أن يحلّل آراء الزحيلي تحليلاً مضمونيا ولم يتطرق إليه.

رسالة تقدّمت بها ((محبوبه كاربخشي راوري)) إلى كلّية الإلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة فردوسي في مشهد، وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير بإشراف مرتضي إيرواني نجفي ومساعدة محمد علي رضايي كرماني. قد قامت الباحثة في هذه الرّسالة بدراسة منهج وهبة الزحيلي التفسيري غير أنّها لم تتحدث عن المباني التفسيرية.

إنّ الفرق بين هذا البحث والدراسات السابقة هو أنه قد تناول المبنى التفسيري لـ "قدسية القرآن" أو "ألوهيته" الذي لم يتم التطرق إليه في الدراسات السابقة.

الآراء في قدسية القرآن:

المراد من قدسية القرآن يعني أنّ القرآن بلفظه و معناه تنزيل من عند الله تعالى. (مؤدب، ١٣٨٦، ص٢٤) لا يشك المسلمون لا سيّما مفسّري القرآن في وحيانية النص القرآني ويعتقدون أنّ القرآن بلفظه ومعناه منزل من عند الله وهو أرسل لهداية النّاس. (سيوطي، ١٤٢١، ج١،ص١٥٦) غير أننا بعد أن قمنا بدراسة آراء الباحثين خلصنا إلى أنّ هناك أربع رؤي على الأقل في هذه القضية:

الرؤية الأولى: وهي تقول إنّ القرآن بمعناه منزل من عند الله غير أنّ ألفاظه كانت من نسج خيال الرسول الأعظم ﷺ.. (ر.ك: بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، صص٢٩١-٢٩٠) يعيد البعض هذه الرؤية إلى ابن كلاب، المتكلّم في القرن الثالث (انظر إلى: ابراهيم كلانتري، قرآن و پاسخگويي به نيازهاي زمان، ص٨٨) اعتقد أنّ كلام الله قديم ولا يتغيّر كجوهره ولايستوعبه قالب وما حدث نتيجة نزول القرآن

على الرسول الكريم ﷺ هو ظاهرة ((التعبير)) أي أن الرسول الأعظم ﷺ قد عبّر عن تعبير لتلك الحقيقة بكلمات قد سمعها من ملاك الوحي. بعبارة أخرى، في رأيه، لا يمكن أن نعتبر ما هو موجود بيننا نحن البشر كالقرآن نفس كلام الله. (انظر إلى: مدخل ابن كلاب در دايرة المعارف بزرگ اسلامي، تحت إشراف سيدكاظم موسوي بجنوردي، ج٤، صص٥٢١-٥١٩) يؤمن نصر حامد أبو زيد بهذه النظرية أيضاً ويكتب:

((إنّ هذا الرأي (خلق الألفاظ والكلمات من عند الرّسول ﷺ) أقرب إلى الحقيقة؛ لأنّنا إذا اعتقدنا أنّ ألفاظ القرآن هي نفس كلام الله، فما هي تعدّد القراءات واختلافها؟ ماذا حدث مع ظهور القراءات المختلفة؟ وهل يمكن قبول التحريف في الكلام الإلهي؟ على سبيل المثال، هل تستوي آية ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ و((كالصوف المنفوش)) في قراءة ابن مسعود؟ إذا اتّفقنا أنّ الوحي أو كلام الله حرفي وملفوظ فلابدّ أن تكون إحدي القراءتين خطأ.)) (انظر.إلى: نصر حامد ابوزيد، معناي متن (ترجمه مفهوم النص)، ترجمه مرتضي كريمي نيا، مقابلة المترجم مع المؤلف، ص٥١٧)

يجب أن يقال إنّ كثيرا من آيات الله تدلّ على أنّ القرآن بلفظه ومعناه من عند الله ولم يكن للرّسول الأعظم دور في خلق الألفاظ والمعاني وإنّما كان ناقلاً هذه الرّسالة الإلهية.

الرؤية الثانية: وهي تقول: إنّ القرآن بمعناه من عند الله غير أنّ ألفاظه كانت من نسيج خيال جبريل. قد جاء الزركشي بهذا الرأي في البرهان نقلا عن السمرقندي. (انظر إلى: محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٩١) كذلك، قد أنكر الزرقاني بأنّ ألفاظ القرآن قد صنعها الرّسول ﷺ أو جبريل ويكتب في هذا الصدد:

((وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط وكلاهما قول باطل أثيم مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به. وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم. وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل؟!)) (محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، صص٤٩-٤٨).

الرؤية الثالثة: إنّه هذه الرؤية نقلها العلامة الطباطبائي في آية ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء١٩٥-١٩٣) حيث قال: أسخف منه قول من قال: إنّ القرآن بلفظه ومعناه من منشآت النبي ﷺ ألقته مرتبة من نفسه الشريفة تسمّي الروح الأمين إلى مرتبة منها تسمّي القلب. (الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥ ص٣١٧)

الرؤية الرابعة: وهي تقول إنّ القرآن بلفظه ومعناه من عند الله وكان جبريل والرّسول ﷺ وسيطين في نقل هذه الرسالة الإلهية. يعتقد محمدهادي معرفت أنّ جميع المسلمين في جميع أدوار التاريخ قد اتّفقوا على أنّ النظم الموجود والأسلوب القائم في جمل وتراكيب الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي لا غيره. الأمر الذي التزم به جميع الطوائف الإسلامية، على مختلف نزعاتهم و آرائهم في سائر المواضيع. (ر.ك: محمدهادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج١ ص٢٧٤)

بالإضافة إلى أنّ معظم العلماء المسلمين اعتقدوا بالرؤية الرّابعة، كانت هذه الرؤية قد اعتبرت ضرورة للدّين؛ لأنّها تحتوي على أدلّة قرآنية وروائية. (انظر إلى: الزركشي، البرهان، ج١ ص٢٩٠؛ الزرقاني، مناهل العرفان، ج١ ص٤٩؛ محمد بن عبدالكريم شهرستاني، مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار(تفسير الشهرستاني) ج١ ص١١٩)

أدلّة على قدسية القرآن:

قد تمّ استخراج الأدلّة التالية على أساس وجهات نظر وهبة الزحيلي في التفسير المنير لإثبات قدسية القرآن وبيان أن هذا الكتاب أنزله الله. تمّ دراسة الأدلّة المرتبة بالقرآن نفسه مميزة وكذلك الأدلّة المرتبطة بمن يأتي بالقرآن أي النبي ﷺ بشكل مستقلّ أيضاً.

١ـ الأدلة المرتبطة بالقرآن

إنّ دراسة هذه القضية بأنّه من وجهة نظر وهبة الزحيلي في التفسير المنير هل القرآن قدسي؟ أي ألفاظه قد أنزلها الله أم لا؟ تحتاج إلى النظر في آراء وهبة الزحيلي والنقاط التفسيرية التي عبّر عنها تحت الآيات المتعلّقة بهذا الأمر لكي يمكن لنا الحصول على رأيه في المبنى التفسيري لقدسية القرآن. ومن ثمّ، سيذكر بعض الآيات التي ترتبط بهذا الموضوع وسيتمّ تحليل آراء وهبة الزحيلي التفسيرية تحت تلك الآيات.

١- ١- إنّما القرآن الكريم تنزيل من ربّ العالمين

إنّ الدليل الأول من الأدلّة التي جاء بها وهبة الزحيلي من آرائه التفسيرية لكي نفهم رأيه فيما يتعلّق بالمبني التفسيري لقدسية القرآن هو أنّه اعتبر هذا الكتاب وحياً منزل من عند الله وتأتي فيما يلي شواهد تدل على هذا القول.

الدليل الأوّل

أول دليل على ذلك هو الآيات الكريمة من سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ يقول الزحيلي في هذه الآيات: يخبر الله تعالى عن خواص الكتاب الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ بأنّه وحي من عند الله، بلسان عربي، وللدلالة على نبوّته ﷺ.(الزحيلي، ١٤١١هـ.ق، ج١٩، ص٢٢١) كما هو معلوم أنّ الزحيلي قد نصّ ذيل هذه الآيات أنّ هذا القرآن قد أنزله الله على رسوله وذلك لا يكون إلا بوحي من الله تعالى.

الدليل الثاني

الدليل الثاني الذي يجب ذكره قد جاء في سورة الحاقة: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)﴾ يذكر الزحيلي في تفسير هذه الآية: أي بل هو تنزيل من الله رب الإنس والجن، نزل به جبريل الأمين على قلب رسوله محمّد ﷺ وهو قول هذا الرّسول بمعني أنّه مبلّغ له عن الرّسول، وهو الذي أظهره للخلق، ودعا النّاس إلى الإيمان به، وجعله حجّة لنبوّته. قد أكد الزحيلي في قوله هذا، أنّ القرآن العظيم من قول الله عزّ وجلّ، وليس قول الرّسول في الحقيقة، لكن نسب القرآن في الظاهر إلى الرّسول؛ لأنّه تاليه، ومبلّغه والعامل به. (الزحيلي، ١٤١١هـ.ق، مجلد١٥ جزء٢٩ ص١١٢) كما هو معلوم، إنّ الزحيلي في قوله هذا، قد رفض بأن تكون معاني القرآن من عند الله لكن ألفاظه من الرّسول ﷺ.

١- ٢- إعجاز القرآن وتحدّي الله به

والدليل الثاني الذي ينبثق من الآراء التفسيرية لوهبة الزحيلي من أجل الحصول على رأيه في الأساس التفسيري لقدسية القرآن وإلهيته، هو أنه يعتبر القرآن معجزة ويذكر جوانبها الإعجازية. المراد بإعجاز القرآن من وجه نظر الزحيلي أي عجز البشر عن الإتيان

بمثله، في بلاغته، أو تشريعه، أو مغيباته. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١ ص٢٨) فهو يقسّم وجوه الإعجاز إلى قسمين يشار إليهما فيما يلي:

١-٢-١- مظاهر إعجاز القرآن اللفظي

أشار وهبة الزحيلي إلى وجوه إعجاز القرآن ويقسّمه إلى قسمين أساسيين: منها ما يخصّ العرب في روعة بيانه وبلاغة أسلوبه وجزالة ألفاظه أو نظمه. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١ ص٣٠) يمكن تسمية القسم الأول بمظاهر إعجاز القرآن اللفظي والذي يعود فضله إلى الكلمات وظواهرها.

وهو يقول في القسم الأول من وجوه إعجاز القرآن: إنّ الله عارض بها العرب متحدياً لهم بأن يأتوا بمثل القرآن أو عشر سور منه ولو بمثل سورة منه غير أنّهم عجزوا.(الزحيلي، ١٤١١هـ.ق، مجلد١٠ جزء١٩ ص٢٤٦) كما هو معلوم أنّ وهبة الزحيلي يعتبر عجز الإنسان عن الإتيان بكلام مثل القرآن دلالة على قدسيته وكونه منزلا من عند الله.

وهو يشير في مقدّمة تفسيره إلى أنّ الدليل على أنّ القرآن كلام الله، هو عجز الإنسان والجن عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه..(زحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١ ص٢٨)

يقول وهبة الزحيلي: قال الله تعالى مستثيراً العرب المعروفين بأنّهم أساطين البيان وفرسان الفصاحة والبلاغة، ومتحدياً لهم بأن يأتوا بمثل القرآن في نظمه ومعانيه وبيانه المشرق البديع الفريد ولو بمثل سورة منه. عندما عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلّت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيّرت في تأليفه الشعراء، وتبلّدت قصوراً عن أن تأتي بمثله لديه أفهام الفهماء، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنّه من عند الله الواحد القهّار. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١ ص٣٠)

استدلّ بفصاحة القرآن التي تعدّ وجها من وجوه الإعجاز لكي يخلص إلى أنّ القرآن قدسي وهو من عند الله. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١٩، ص٢٢١) وهو يعتقد أنّ القرآن كان إنزاله باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيّنا واضحاً قاطعا للعذر، مقيماً للحجّة، دليلاً على الحقّ، هادياً إلى الرشاد، مصلحاً أحوال العباد. (زحيلي، ١٤١١ هـ. ق، مجلد١٠ جزء١٩ ص٢٤٤)

بعد أن قمنا بدراسة آراء وهبة الزحيلي حول إعجاز القرآن اللفظي، يمكن الحصول على هذه النقطة بأنّه يعتبر عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن دليلاً على إعجازه والذي يدلّ على قدسيته وإنزاله من عند الله. من جهة، يبدو أنّه ينبغي النظر في انحصار وجه إعجاز القرآن الفظي على العرب من قبل وهبة الزحيلي؛ لأنّ القرآن لجميع الأزمنة والأمكنة ويكون مخاطب القرآن للتحدّي والمجاراة جميع البشر سواء كان عرباً أم غيرهم.

١-٢-٢- مظاهر إعجاز القرآن المعنوي

لا يعتبر وهبة الزحيلي القسم الثاني من مظاهر إعجاز القرآن منحصرا على قوم خاص ويقول: ومنها ما يشمل العرب وغيرهم من عقلاء النّاس بالإخبار عن المغيبات في المستقبل، وعن الماضي البعيد وبالتشريع المحكم الشّامل لكلّ شؤون حياة الإنسان. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١ ص٣٠)

فهو يذكر مباحث من القسم الثاني من إعجاز القرآن ويقول: إنّ جميعها تدل على أن القرآن وحي إلهي أنزله الله. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١ ص٣١) ومن هذه المباحث هي:

- إخبار القرآن عن الأمور التي تقدّمت في أوّل الدنيا مثل الإخبار بما كان من قصص الأنبياء كقصّة موسي والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، وقصّة أهل الكهف.
- الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم: إلى أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه. وإلي وعد مقيّد بشرطه. كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢)، ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ (الأنفال: ٦٥).
- الإخبار عن المغيبات في المستقبل مثل قوله تعالى: ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣) ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٧) ومنه قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ (الروم: ٣-١).

- الإعجاز العلمي: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ (الحجر: ٢٢)، وآية ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ (الأنبياء: ٣٠)، وآية ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وآية ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (الحجر: ١٩)، وآية إثبات كروية الأرض ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥)، واختلاف مطالع الشّمس في آية ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ (يس: ٣٨) إلى قوله ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠)

كذلك التناسب في جميع ما تضمّنه القرآن من غير اختلاف، اشتمال القرآن على العلوم الإلهية، وأصول العقائد الدينية، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي. تعدّ هذه الأوجه وجها آخر في إعجاز القرآن والتي أشار إليها وهبة الزحيلي. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، ج١ ص٣٢)

إنّ المراجعة إلى وجهات نظر وهبة الزحيلي هذه في إعجاز القرآن المعنوي تدلّ على أنّه يعتقد أنّ أن كل هذه المعارف العميقة المذكورة في الآيات الإلهية لها مصدر قدسي وحياني فهو يعتقد أنّ هذه الأمور كلّها تدلّ على قدسية القرآن وإنزاله من عند الله تعالى ولو لم يكن القرآن ذا مصدر قدسي وإلهي ولم يكن من عند الله، ما وجدت فيه كل هذه المعارف.

١- ٣- التبشير بنزول القرآن في الكتب السماوية السّابقة

الدليل الثالث الذي ينبثق من آراء وهبة الزحيلي التفسيرية من أجل الحصول على رأيه في المبنى التفسيري لقدسية القرآن أو وحيانيته، ترتبط بآرائه في آية ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (شعراء/١٩٦) هو يقول: التبشير بالقرآن في الكتب السماوية السّابقة من الأدلّة التي تثبت قدسية القرآن. (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق،مجلد١٠ جزء١٩ ص٢٤٥) وهو يقول: إنّ الزبر هنا: هي الكتب، وهي جمع زبور، ومنها زبور داود أي كتابه. هو يعبّر عن أنّ ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب المتقدّمين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشّروا به في قديم الدهر وحديثه، عملاً بالميثاق الذي أخذ به عليهم وكذلك جميع الكتب السّابقة المنزّلة على الأنبياء بشّرت بالنبي ﷺ وبأنّه سينزل عليه قرآن يشهد بصدقها، ويهيمن عليها: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٨٩)، وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (مائده/٤٨).

يضرب وهبة الزحيلي سيّدنا عيسى عليه السلام مثلا وهو كان آخرهم مبشّراً بأحمد: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (صف/٦).

بعد دراسة جميع آراء وهبة الزحيلي التفسيرية في ((نزول ألفاظ القرآن من عند الله)) و((إعجاز القرآن وتحدّي الله به)) و((التبشير بنزول القرآن في الكتب السماوية السابقة)) خلصنا إلى أنّه أوّلا: يعتقد أنّ القرآن بلفظه ومعناه من عند الله تعالى. ثانياً: يعتقد أنّ العجز عن الإتيان بألفاظ شبيهة بألفاظ القرآن تدلّ على أنّ هذه الألفاظ منزّلة من عند الله. كذلك التناسب في جميع ما تضمّنه القرآن من غير اختلاف، اشتمال القرآن على العلوم الإلهية، وأصول العقائد الدينية، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي كلها يعني إعجاز القرآن المعنوي ولا يمكن أن يعبّر عن مثل هذه المفاهيم الرفيعة إلا لسان الله الحكيم. ثالثاً: بما أنّه في الكتب السّماوية السّابقة تمّ التصريح بنزول القرآن وإتيانه من قبل رسول آخر الزمن ﷺ وانطباق أوصاف القرآن مع أوصاف ذلك الكتاب الذي بشّرته الكتب المقدسة السابقة، هذه كله يدلّ على أنّ هذا القرآن نزل من نفس الكتب المقدسة السابقة (قبل التحريف) وبمعني آخر، هو قدسي، إلهي ولا يكون إلا بوحي من الله.

٢ـ الأدلة المرتبطة بالنبي ﷺ:

بعد أن قمنا بدراسة الأدلّة التي كانت مرتبطة مباشرة بالقرآن نفسه والتي تنبثق من آراء وهبة الزحيلي التفسيرية وكانت مؤثّرة في إثبات قدسية القرآن ووحيانيته وترينا نزوله من عند الله، فندرس الآن الأدلّة التي ترتبط مباشرة بمن أتي بالقرآن أي سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد المصطفى ﷺ وترينا قدسية القرآن ووحيانيته ونزوله من عند الله.

٢- ١- أمّية الرسول ﷺ

الدليل الأول من الأدلّة التي ترتبط بالرسول ﷺ والذي يدلّ على أنّ القرآن من عند الله: وهو كونه منزّلاً على قلب النبي الأمّي الذي لم يسبق له علم بشيء منه، أي أنّه لم يقدر على القراءة والكتابة، إلا أنّه وعاه، وحفظه وأنذر به النّاس (الزحيلي، ١٤١١ هـ. ق، مجلد١٠ جزء١٩ ص٢٤٦)

والأمّي: الذي لا يكتب (ابن منظور،١٤١٤هـ.ق،ج١٢ ص٣٤) وبمعني الذي لا يكتب ولا يقرأ من الكتب (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢هـ.ق، ص٨٧) الأمّي: الذي على خلقة الأمّة لم يتعلّم الكتابة فهو على جبلّته والأمّي: العيّي الجلف من قلّة الكلام وعجمة اللسان ولا يعرف الكتابة. (ابن منظور،١٤١٤هـ.ق، ج١٢ ص٣٤) في القرآن الكريم، آية ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ (الاعراف/١٥٨) تدلّ على أمّية الرّسول الأعظم ﷺ حول دلالة الأمية المعنوية في النبي ﷺ ((الذي لا يكتب)) (طبرانى، ٢٠٠٨ م، ج٣، ص: ٢٠٢) و (الذي لا يقرأ ولا يكتب)) (حقى برسوى، بي تا، ج٣، ص: ٢٥٧؛ طهطاوى، ١٤٢٥هـ. ق، ص:١١٤) والبعض اعتبر هذه الصفة ثناء على ذلك السيّد (الآلوسى، ١٤١٥ هـ. ق،ج٥، ص: ٧٩)، أعلي الصفات (طنطاوى، ١٩٩٧ م،ج٥، ص: ٣٩٦)، إحدي السّمات والمعجزات (مكارم شيرازى، ١٤٢١ ه. ق، ج٢، ص: ٣٦٤) بل هي أسمي الصّفات وأهمّها (زحيلي، ١٤١١ هـ. ق،ج٩، ص: ١٣٠)، مدعاة لشرافة السيّد (الشعراوى، ١٩٩١ م،ج٧، ص: ٤٣٨٧)، الموهبة الإلهية (داوربناه، ١٣٦٦هـ. ش،ج٢، ص: ٢٢٦) وهي علامة على أحقّيته. (فخر رازى، ١٤٢٠هـ. ق،ج١٥، ص: ٣٨٥؛ ابوحيان، ١٤٢٠هـ. ق، ج٥، ص: ١٩٧؛ قرشى بنابى، ١٣٧١هـ. ش،ج١، ص: ١٢٠) الجدير بالذكر أنّ هذه الميزة قد جاءت في الكتب السّماوية الماضية لرسول آخر الزمن.. (ابن كثير،١٤١٩هـ. ق،ج٣، ص: ٤٤٢)

هناك رأي آخر عند بعض المفسّرين بأنّ المراد من أمّية الرّسول نسبتها إلى ((أمّ القري)) (شاه‌عبدالعظيمى،١٣٦٣ هـ. ش،ج٤، ص: ٢١٩) وعلي ذلك الأساس، ذلك السيّد كان له القدرة على الكتابة والقراءة. وقد استشهد المؤمنون بهذا القول برواية مؤيدة لقولهم، وهي: عن الإمام محمد بن على الجواد عليه السلام إنه سئل: لم سمي (النبي الامي) فقال الإمام محمد بن على الجواد عليه السلام: ما يقول الناس؟ قيل: يزعمون أنه إنما سمي (الأمي) لانه لم يحسن أن

يكتب فقال الإمام محمد بن على الجواد عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله ... انى ذلك والله يقول ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾... فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن... والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو قال بثلاث وسبعين لسانا... وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة... ومكة من أمهات القرى... وذلك قول الله عز وجل ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (ابن بابويه، ١٣٨٥ ش، الجزء الأول، ص ١٢٤، باب ١٠٥، الحديث الاوّل).

تستند هذه النظرية إلى حقيقة أن عدم قراءة النبي ﷺ وعدم كتابته لا يعني بالضرورة أن النبي ﷺ لم يكن لديه القدرة على ذلك بل لتتناسب مع شروط الرسول الأعظم ﷺ مع إعجاز القرآن. ما كان من عادته قبل نزول القرآن أن يقرأ كتاباً ولا كان من عادته أن يخطّ كتابا ويكتبه ولو كان كذلك لارتاب هؤلاء المبطلون الذين يبطلون الحقّ بدعوي أنّه باطل لكن لما لم يحسن القراءة والكتابة واستمرّ على ذلك وعرفوه على هذه الحال لمخالتطه لهم ومعاشرته معهم لم يبق محل ريب لهم في أمر القرآن النازل إليه أنّه كلام الله تعالى وليس تلفيقاً لفقه من كتب السابقين ونقله من أقاصيصهم كما جاء في آية ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (عنكبوت/٤٨) كان الكلام فيه بشكل يدلّ على عدم عادة النبي ﷺ بالقراءة والكتابة قبل نزول القرآن ولم يشر فيه إلى عدم قدرة النبي على القراءة والكتابة (انظر إلى: الطباطبايى، ١٣٩٠هـ. ق، ج١٦، ص: ١٣٩؛ طوسى، بي تا، ج ٨، ص١٩٣؛ معرفت، ١٣٨٢ هـ. ش، صص٢٧-٢٦)

نفهم من ظاهر كلام الزيلي أنّه يعتقد بالرأي الأوّل أي الأمّي عنده هو الذي لا يقرأ ولا يكتب وعلي ذلك الأساس، يظهر أنّه إذا كان هذا القرآن قد صنعه شخص أتى به، فبالضرورة يجب أن يكون هذا الشخص قادراً على القراءة والكتابة على الأقل. ولكن بحسب ما ورد من أن النبي إما لم يكن قادراً على القراءة والكتابة أو أنّه ما كان من عادته أن يقرأ كتاباً أو يخطّه، على أية حال، فإن شروط الرسول الأعظم ﷺ هذه تتناسب مع إعجاز القرآن وقدسيته ووحيانيته. لذلك، فإن دليل وهبة الزحيلي هذا بأنّ أمّية النبي ﷺ تشير إلى أن هذا القرآن قدسي ومنزل من عند الله، فهذا يبدو أمراً منطقيًا.

٢- ٢- أمانةالنبي ﷺ وعصمته في تلقّي الوحي وإبلاغه

الدليل الثاني من الأدلّة التي ترتبط بمن أتي بالقرآن والذي مستخرج من آراء وهبة الزحيلي التفسرية في إثبات قدسية القرآن ونزوله من عند الله ويثبت أنّ القرآن وحي وكلام الله هو أنّ الرّسول كان أميناً في عملية التلقّي والفهم ثمّ في إبلاغه وإرساله إلى النّاس وكان سالماً من الخطأ ولم يضف هو نفسه شيئاً على القرآن ورسالته في تلقّي الوحي وإبلاغه وأتم مهمته في تلقي الوحي وإيصاله بشكل صحيح وكامل. نقوم الآن بدراسة آراء وهبة الزحيلي التفسيرية تحت الآيات التي تشير إلى هذه القضية.

الشاهد الأول

يقول وهبة الزحيلي في آية ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشعراء/١٩٤-١٩٣) وقوله ((عَلَى قَلْبِكَ)) دليل على أنّ القرآن محفوظ، وأنّ الرّسول ﷺ متمكن منه، وثابت في وعيه؛ لأنّ القلب موضع التمييز، ومركز الحواس الرّوحية، ومحل الإدراك والوعي. (الزحيلي، ١٤١١هـ. ق، مجلد١٠ جزء١٩ ص٢٤٥).

وهو نقل رواية عن النّبي ﷺ حيث قال ﷺ فيما أخرجه الصحيحان: ((ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب)) (الزحيلي،١٤١١هـ.ق،مجلد١٠ جزء١٩ ص٢٤٥) إنّ ذكر هذه الرواية يتناقض مع ما ذكره الزحيلي نفسه في قسم ((المفردات اللغوية)) (الزحيلي،١٤١١هـ.ق، مجلد ١٠ جزء١٩ ص٢٤٢)؛ لأنه هناك عرّف القلب على أنه بمعنى الروح ومركز الإدراك وصرّح أنه غير الجسد، أمّا في الرواية التي نقلها هنا، فاعتبر القلب جزءاً من الجسد وهذان الشيئان متناقضان، لكن القاسم المشترك في كلا التعبيرين هو أنه اعتبر القلب محل الإدراك والوعي، وذكر أن قلب النبي ﷺ كان أمينًا في تلقّي الوحي واستطاع أن يحفظ القرآن.

الشاهد الثاني

يكتب الزّحيلي حول آية ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(نجم/٤-٢) انّ الله أقسم على أنّ محمداً ﷺ ليس بضالٍّ تائه عن الحقّ، ولا غاوٍ يعدل عن الحقّ - أي نزّه الله تعالى رسوله ﷺ عمّا نسبه قريش- أي ما يقول قولا عن هوي

وغرض، وما ينطق بالقرآن عن هواه الشّخصي، إنّما ينطق بوحي من الله أوحاه إليه، ويبلّغ ما أمر به كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان وذلك ليس إلا ما أوحاالله إليه. (الزحيلي،١٤١١هـ. ق،مجلد١٤ جزء٢٧ ص١٠٨)

إنّ كلام الزحيلي هذا يدلّ على أنّه يعتقد أنّ الرسول الأعظم ﷺ لم يتدخل في الوحي والقرآن وقد كان مجرد رسول أمين لهذه الرّسالة من قبل الله تعالى. ثم يستشهد ببعض الروايات التي تؤكد كلامه. نقل أنّ الإمام أحمد وأبي داود وابن أبي شيبة أخرجوا عن عبد الله بن عمر قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسوال الله ﷺ فقال: ((اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منّي إلا الحقّ))

وأخرج الحافظ أبوبكر البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما أخبرتكم أنّه من عند الله، فهو الذي لا شك فيه.))

وأخرج أحمد عن أبي هريرة أيضاً عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ((لا أقول إلا حقّا، قال بعض أصحابه: فإنّك تداعبنا يا رسول الله ﷺ؟ قال: إنّي لا أقول إلا حقّاً)) (الزحيلي،١٤١١هـ. ق،مجلد١٤ جزء٢٧ ص١٠٨) إنّ هذه الروايات التي جاء بها الزحيلي تأكيد لإيمانه بأمانة الرسول الأعظم ﷺ وعصمته عن الخطأ في القيام برسالة تلقي الكلام الإلهي وإيصاله.

الشّاهد الثالث

قد أشار وهبة الزحيلي تحت آية ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ))(الحاقه/٤٠) إلى أمانة النبي ﷺ في تبليغ الرّسالة الإلهية. جاء في هذه الآية أنّ هذا القرآن لقول رسول كريم. يكتب الزحيلي أنّ المراد من الرّسول يمكن أن يكون جبرائيل أو النبي ﷺ غير أنّ الأكثرين على أنّ الرسول الكريم ﷺ هنا هو محمّد ﷺ؛ لأنّه ذكر بعده أنّه ليس بقول شاعر ولا كاهن، والقوم ما كانوا يصفون جبرائيل بالشعر والكهانة، وإنّما يصفون محمداً ﷺ. وأمّا في سورة التكوير، فالأكثرون على أنّه جبرائيل عليه السلام؛ لأنّ الأوصاف التي بعده تناسب جبرائيل ولا النبي ﷺ. (الزحيلي،١٤١١هـ. ق،مجلد١٥ جزء٢٩ ص١١١)

يكتب في مكان آخر: إنّ هذا القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرّسالة وأداء الأمانة أي يبلّغ كلام الله النّاسَ بطريق الرّسالة. (الزحيلي،١٤١١هـ. ق،مجلد١٥جزء٢٩ ص١١٠)

يتضح في هذا البيان أيضاً أنّ الزحيلي يعتقد أن النبي ﷺ لم يكن له دور سوى تحمّل مسؤولية القيام بمهمة تلقّي الكلام الإلهي وتبليغه كشخص أمين.

يذكر وهبة الزحيلي أنّ إضافة القول إلى الرّسول على معني التبليغ، والقرآن ليس كلام الرّسول بل كلام الله؛ لأنّ الرّسول من شأنه أن يبلّغ عن المرسِل. وفي وصفه بالكرم إشارة إلى أمانته في تبليغ كلام الله وإيصاله؛ وأنّه ليس ممن يغير الرسالة طمعاً في أغراض الدّنيا الخسيسة. (الزحيلي،١٤١١هـ. ق،مجلد١٥ جزء٢٩ ص١١١) في شرح كلام الزحيلي، ينبغي أن يقال إنّ في هذه الآية قد يحدث هذا السؤال: لمَ قيل: القرآن قول الرّسول لكن الجواب هو أنّ نسبة القول إلى الرسول الأعظم ﷺ قد تمّت بكلمة الرّسول التي تحمل معني خاصاً بناء على ((مجرّد كونه مرسلاً)) ولتبين للقارئ أنه على الرغم من أنّ هذا القرآن يجري على لسان النبي ﷺ، فإنه ليس بكلامه وإنّما هو مبلّغه ومرسله.

من خلال دراسة كل آراء وهبة الزحيلي في ظل هذه الشهود الثلاثة، يتبيّن أنه يعتقد أنّ سيّد المرسلين وخاتم النبيين سيّدنا محمّد المصطفى ﷺ لم يكن له دور إلا التلقّي والتبليغ وفيها إشارة إلى أنّ هذا القرآن ليس قوله من تلقاء نفسه وإنّما هو قوله المؤدّي عن الله بطريق الرّسالة.

٢- ٣- تنزيه النّبيﷺ عن كونه شاعراً وكاهناً

الدليل الثالث من الأدلّة التي ترتبط بمن أتي بالقرآن والذي يستخرج من آراء وهبة الزحيلي التفسرية في إثبات قدسية القرآن ونزوله من عند الله ويثبت أنّ القرآن وحي وكلام الله هو أنّ النبي ﷺ منزّه عن أوصاف الشاعر والكاهن ومعصوم عمّا لا يليق به.

يكتب وهبة الزحيلي في ظلّ آية ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ*وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقه/٤٢-٤١) أنّ هذا القرآن ليس بقول شاعر؛ لأنّ النبي ﷺ ليس شاعراً ولا قول كاهن - أي: الذي يدّعي أنّه يعرف الغيب وأسرار المستقبل- (الزحيلي،١٤٢٢هـ. ق،

ج٣، ص: ٢٧٣٠) وإن كان قد نسب بعض الكفّار هذه الافتراءات إلى النبي ﷺ والقرآن. (الزحيلي،١٤١١هـ. ق،مجلد١٥ جزء٢٩ ص١١٥)

أمّا في سبب نزول هذه الآيات فقال: قال مقاتل: سبب ذلك أنّ الوليد بن المغيرة قال: إنّ محمداً ساحر، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عقبه: كاهن، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآيات ردّا على أقوال هؤلاء الأفراد.

في شرح قول وهبة الزحيلي يجب أن يقال: إنّ أحد الاتهامات التي نسبها الكفار إلى الرسول الأعظم ﷺ أنهم اتهموه بأنه شاعر بسبب وجود الإيقاع والأسجاع في العديد من آيات القرآن وحينما لم يكن لديهم جواب أمام النبي ﷺ عاملوه بهذا الشكل لكي يريدوا إزالة ظاهر القضية أساسا وأن يهربوا نحو الأمام و كان لهم نفس المجابهة بالضبط مع الرسول الكريم ﷺ عندما اتهموا أنه كاهن ورجل تنجيم.

كان كل ردود أفعال الكفار هذه، بسبب الضعف الذي حدث لهم حين مواجهتهم هيبة الرّسول وتلاوته القرآن. وكثيرا ما كان يحدث أن الكفار لم يتكلّموا وكأنّ على رؤوسهم الطّير، عندما سمعوا آيات القرآن عن الرسول ﷺ بسبب جمالها وبلاغتها وخطابها وجاذبيتها للعرب إلا أنّ زعماء الكفر أطلقوا مثل هذه الاتهامات إلى الرّسول ﷺ ووصفوه بالشاعر والكاهن ونحوه لمنع الناس من الانجذاب إليه.

من خلال دراسة آراء وهبة الزحيلي التفسيرية يتبيّن لنا أنّ تنزيه الرّسول ﷺ من الشاعرية والكهانة دليل آخر يثبت على أن هذا القرآن من عند الله و هو كلام إلهي.

٢- ٤- معاقبة النّبي ﷺ لو افتري على الله كذباً

الدليل الثالث من الأدلّة التي ترتبط بمن أتي بالقرآن والذي يستخرج من آراء وهبة الزحيلي التفسرية في إثبات قدسية القرآن ونزوله من عند الله ويثبت أنّ القرآن وحي وكلام الله هو أنّ النبي ﷺ وهو مرسله يهدد أيضاً بأن لا يفتري على الله كذباً وإذا ارتكب بمثل هذا العمل أي الافتراء على الله، سيعاقبه الله.

بيّن وهبة الزحيلي في آية ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقه/٤٧-٤٤) وهي دليل البحث، أنّ هذه الجمل قد يمكن أن

تعود إلى جبريل أو إلى الرُسول ﷺ أي إذا افتري كلّ منهما علينا كذباً للأخناه بالقوّة والقدرة. (الزحيلي،١٤١١هـ. ق،ج٢٩، ص١٠٥) على الرّغم من أنّ معظم المفسّرين يعتقدون أنّ هذه الجمل تعود إلى الرّسول الأعظم ﷺ. (ر.ك: زحيلي،١٤٢٢هـ. ق، ج٣، ص: ٢٧٣٠؛ حويزى، ١٤١٥ هـ. ق،ج٥، ص: ٤١٠؛قمى، ١٣٦٣ هـ. ش، ج٢، ص: ٣٨٤) لكن يبدو أن نسبة هذه الجمل إلى جبريل لا تكون صحيحة؛ لأنّه يقول في ما يأتي: إذا ارتكب بهذا الخطأ لقطعنا نياط قلبه وحينئذ لا أحد من القوم على الإطلاق يحجز عنه العذاب ويمنعه عنه. ومن ثمّ، استخدمت هذه الجملة في الرّسول ﷺ. كذلك يمكن القول إنه حتى لو كانت هذه الأقوال عن جبريل، فإن الاستنتاج المنطقي هو أن هذا الافتراء على الله لن يتحقق من قبل الرّسول ﷺ؛ لأنّه لا يقول شيئًا غير ما يأتي به جبريل.

أمّا فيما يتعلّق بنوع عقاب الرّسول ﷺ الذي قيل إنّه إذا افتري على الله كذباً فيعاقبه الله، فقد قال بعض المفسّرين: إنّ عقابه قتل صبر، كما يفعل الملوك بمن يتكذّب عليهم معالجة بالسّخط والانتقام، فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول: فهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته. وخصّ اليمين على اليسار، لأنّ القتال إذا أراد أن يوقع الضّرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسّيف، وهو أشدّ على المصبور، لنظره إلى السّيف أخذ بيمينه.(الزمخشري، ١٤٠٧هـ.ق،ج٤، ص: ٦٠٧)

يقول وهبة الزحيلي في تفسير بقية الآية التي تذكر أوصاف القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الحاقه/٥١) أي وإنّ القرآن هو الخبر الصّدق واليقين الحقّ الذي لا شك فيه ولا ريب، لكونه من عند الله، وليس من تقوّل محمد ﷺ. يتّضح في تفسير هذه الآية أيضاً أنّ هذا القرآن بما أنّه منزّه عن افتراء النبي على الله، فهو الخبر الصادق واليقين الحقّ.

فهو في تفسير الآية التالية أي ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقه/٥٢) يقول: نزّه الله الذي أنزل هذا القرآن العظيم عما لا يليق به بالتّسبيح، وهو قول: سبحان الله وعن الرضا بالتقوّل عليه، وشكرا لله على ما هو أوحي به إليك.(الزحيلي،١٤١١هـ. ق،ج١٥ صص١١٥-١٠٨).

من خلال دراسة آراء وهبة الزحيلي يتبيّن لنا أنّه مع هذا الوعيد والتخوّف الذي قال الله في رسوله على أنّه إذا افتري على الله كذباً أو إذا نقص أو زاد من القرآن أو قال من تلقاء نفسه شيئاً (دون أن يكون قول الله وكلامه) يثبت أنّه بما أنّ نياط قلب الرّسول ﷺ لم

يقطع ولم يعاقبه الله فيُفهم أنّ النبي ﷺ لم يفتر على الله كذباً، ولم يضف أو ينقص من القرآن شيئًا من تلقاء نفسه، وإنما أوصل الوحي (لا أقل ولا أكثر) إلى الناس.

النتيجة:

قمنا في هذا البحث وفي القسمين بدراسة الآراء التفسيرية ووجهات نظر مؤلّف التفسير المنير والتي يمكن الاستعانة بها لإثبات قدسية القرآن الكريم أو وحيانيته.

في القسم الأوّل، تناولنا الأدلّة التي ترتبط مباشرة بالقرآن وقمنا بدراسة ثلاثة أدلّة: الدليل الأوّل: إنّ القرآن بألفاظه منزل من عند الله. الدليل الثاني: دراسة وجوه إعجاز القرآن اللفظي والمعنوي والتّحدي به من قبل الله. الدليل الثالث: التبشير بنزول القرآن في الكتب السماوية السابقة. بعد أن درسنا هذه الأدلّة الثلاثة خلصنا إلى أنّ وهبة الزحيلي يعتقد أنّ كيفية جوهر القرآن وسماته إنّما تكون وحي من عند الله وكلامه.

في القسم الثاني عالجنا الأدلّة التي ترتبط مباشرة بمن بلّغ القرآن أي الرّسول الأعظم ﷺ ودرسنا أربعة أدلّة: الدليل الأول: أمية الرّسول. الثاني: أمانة النبي ﷺ وعصمته في تلقّي الوحي وإبلاغه. الثالث: تنزيه النبي ﷺ من أن يكون شاعراً وكاهناً. والرّابع: تهديد النبي ﷺ لو افتري على الله كذباً. بعد معالجة هذه الأدلّة خلصنا إلى أنّ وهبة الزحيلي يعتقد أنّ الرّسول الأعظم بناء على ميزات من يبلّغ القرآن، لا يمكن أن يتلقّي كلاماً غير كلام الله بوصفه قرآنا عن طريق الوحي ويوصله إلى النّاس.

بعد معالجة جميع آراء وهبة الزحيلي التفسيرية ووجهات نظره وبعد دراسة سبعة أدلّة في القسمين خلصنا إلى أنّه يعتقد أنّ جوهر القرآن وسماته وسمات من قام بتبليغه أي الرّسول الأعظم يكون بشكل يستنبط أنّ القرآن إنّما وحي من عند الله وكلامه فبالتالي أثبت واتضّح أنّ وهبة الزحيلي مؤلف ((التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)) قد قبل المبنى التفسيري لفدسية القرآن وألوهيته وهو يؤمن و يعتقد بهذا المبنى التفسيري.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. الآلوسى، محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، گردآورنده: شمس‌الدين، سناء بزيع؛ شمس‌الدين، ابراهيم، محقق: عبد الباری عطيه، على؛ دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، لبنان- بيروت، ١٤١٥هـ. ق، چاپ اول(١٦جلد).

٢. ابن بابويه، محمد بن على، علل الشرائع، قم، كتاب فروشى داورى، ١٣٨٥ ش / ١٩٦٦ م، ٢جلد.

٣. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم(ابن كثير)، محقق: شمس الدين، محمد حسين، لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، ١٤١٩ هـ. ق.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ. ق، چاپ سوم(١٥جلد).

٥. ابوحيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط فى التفسير، محقق: جميل، صدقى محمد، لبنان- بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ. ق(١١جلد).

٦. ابوزيد، نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م، الطبعة الثالثة.

٧. ابوزيد، نصر حامد، معناي متن(ترجمه مفهوم النص)، مترجم: محمدمهدي كريمي نيا، تهران، طرح نو، ١٣٨٠.

٨. بابايي، على اكبر؛ عزيزي كيا، غلامعلي؛ روحاني راد، مجتبي، روش شناسي تفسير قرآن، زير نظر محمود رجبي، قم، پژوهشكده حوزه و دانشگاه، تهران، سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انساني دانشگاهها(سمت)، ١٣٨٩.

٩. بابايي، على اكبر، مكاتب تفسيري، سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانى دانشگاه ها(سمت)، مركز تحقيق و توسعه علوم انسانى، ايران- قم، ١٣٨١هـ. ش، چاپ اول(٣جلد).

١٠. حقى برسوى، اسماعيل بن مصطفى، تفسير روح البيان، لبنان- بيروت، دار الفكر، بي تا، چاپ اول(١٠جلد).

١١. حويزى، عبدعلى بن جمعه، تفسير نور الثقلين، مصحح: رسولى، هاشم، قم، اسماعيليان، ١٤١٥هـ. ق، چاپ چهارم(٥جلد).

١٢. داورپناه،أبو الفضل، انوار العرفان في تفسير القرآن، تهران، كتاب خانه صدر، ١٣٦٦هـ. ش، چاپ اول(١٦جلد).

١٣. الراغب الأصفهانى، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دارالقلم، ١٤١٢هـ. ق، چاپ اول.

١٤. رضايي اصفهاني، محمدعلي، مباني و قواعد تفسير، قم، جامعة المصطفى العالمية، ١٣٨٧هـ.ش.

١٥. رضايي، آمنه؛ مقاله ((روش شناسي التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج))، مجله ((حديث وانديشه)) بايز ٨٩ و تابستان ٩٠، شماره ١٠ و ١١.

١٦. زحيلى، وهبه، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، سـوريه - دمشق، ١٤١١هـ.ق.

١٧. زحيلى، وهبه، التفسير الوسيط، دار الفكر، سوريه- دمشق، ١٤٢٢هـ. ق، چاپ اول(٣ جلد).

١٨. الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، بي تا، چاپ اول(٢جلد).

١٩. ١٩- الزركشي، بدرالدين محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، لبنان- بيروت، ١٤١٠هـ. ق، چاپ اول(٤جلد).

٢٠. زمخشرى، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت، ١٤٠٧هـ. ق، چاپ سوم(٤جلد).

٢١. السيوطي، عبدالرحمن بن ابي‌بكر، الاتقان في علوم القرآن، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٢١ هـ. ق.

٢٢. شاكر، محمد كاظم، مباني و روش‌هاي تفسيري، قم، مركز جهاني علوم اسلامي، ١٣٨٢هـ.ش.

٢٣. شاه عبد العظيمى، حسين، تفسير اثنى عشرى، تهران، ميقات، ١٣٦٣ ه. ش، چاپ اول(١٤جلد).

٢٤. الشعراوى، محمد متولى، تفسير الشعراوى، لبنان- بيروت، اخبار اليوم، ادارة الكتب و المكتبات، ١٩٩١ م، چاپ اول(١٢جلد).

٢٥. الشهرستاني،محمد بن عبدالكريم، مفاتيح الاسرار و مصابيح الابرار(تفسير الشهرستاني)، تحقيق وتعليق: محمدعلي آذرشب، تهران، احياء كتاب، دفتر نشر ميراث مكتوب، ١٣٧٦.

٢٦. الطباطبايى، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، لبنان- بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ. ق، چاپ دوم(٢٠جلد).

٢٧. الطبرانى، سليمان بن احمد، التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم، اردن- اربد، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨ م، چاپ اول(٦جلد).

٢٨. الطبرسى، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تهران، ناصرخسرو، ١٣٧٢هـ.ش، چاپ سوم(١٠جلد).

٢٩. طنطاوى، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصر- قاهره، نهضة مصر، ١٩٩٧م، چاپ اول(١٥جلد).

٣٠. الطوسى، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، لبنان- بيروت، دار إحياء التراث العربي، بي تا، چاپ اول(١٠جلد).

٣١. الطهطاوى، على أحمد عبدالعال، عون الحنان فى شرح الامثال فى القرآن، لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، ١٤٢٥هـ. ق.

٣٢. عميد زنجاني، عباسعلي، مباني و روش‌هاي تفسير قرآن، تهران، وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي. سازمان چاپ وانتشارات، ١٣٦٧هـ.ش.

٣٣. الفخر الرازى، محمد بن عمر، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، لبنان- بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ. ق، چاپ سوم(٣٢جلد).

٣٤.قرشى بنابى، علي اكبر، قاموس قرآن، تهران، دارالكتب الإسلامية، ١٣٧١ ه. ش، چاپ ششم(٧جلد).

٣٥. القمى، على بن ابراهيم ، تفسير القمي، محقق: موسوى جزايرى، طيب، قم، دار الكتاب، ١٣٦٣هـ. ش، چاپ سوم(٢جلد)

٣٦. مجتهد شبستري، محمد، مدخل ابن كلّاب، دايرة المعارف بزرگ اسلامي، زير نظر سيد كاظم موسوي بجنوردي، تهران، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ١٣٨٣.

٣٧.معرفت، محمد هادى، التمهيد في علوم القرآن(٦ جلد)، ناشر: مؤسسة النشر الاسلامى: قم، ١٤١٥، چاپ: دوم.

٣٨.معرفت، محمد هادى، شبهات و ردود حول القرآن ، قم، موسسه التمهيد، ١٤٢٣ هـ. ق /٢٠٠٢ م، چاپ: اوّل.

٣٩. معرفت، محمد هادى، تاريخ قرآن، سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانى دانشگاه ها (سمت)، ١٣٨٢ هـ. ش، چاپ پنجم.

٤٠. مكارم شيرازى، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ترجمه و تلخيص: آذرشب، محمد على، قم، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٤٢١هـ. ق، چاپ اول(٢٠جلد).

٤١. مؤدب، سيد رضا، مباني تفسير قرآن، قم، دانشگاه قم، ١٣٨٦هـ.ش.

٤٢. مؤدب، سيد رضا، روشهای تفسير قرآن، قم، اشراق، ١٣٨٠هـ.ش. چاپ: اول.

٤٣. كاربخشي راوري، محبوبه؛ پايان نامه كارشناسي ارشد ((روش تفسيري تفسير المنير))، استاد راهنما مرتضي ايرواني نجفي؛ استاد مشاور محمدعلي رضايي كرماني، دانشكده الهيات و معارف اسلامي دانشگاه فردوسي مشهد، ١٣٨٤.

٤٤. كريمي نيا، مرتضي، ((مصاحبه با ابوزيد))، مجله كيان، مهر-آبان ١٣٧٩، شماره٥٤.

٤٥. كلانتري، ابراهيم؛ قرآن و پاسخگويي به نيازهاي زمان، تهران، دفتر نشر معارف.